Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أما البيت الثانى فقول ابن المعتز :

سالت عليه شعاب الحى حين دعا أنصاره بوجوه كالدنانير

« فإنك ترى هذه الاستعارة على لطفها وغرابتها ، إنما تمّ لها الحسن ، وانتهى إلى حيث انتهى ، بما توخى فى وضع الكلام من التقديم والتأخير ، وتجدها قد ملحت ولطفت بمعاونة ذلك ومؤازرته لها . وإن شككت فاعمد إلى الجارين والظرف ؛ فأزل كلا منهما عن مكانه الذى وضعه الشاعر فيه ، فقل : « سألت شعاب الحى بوجوه كالدنانير عليه حين دعا أنصاره » ، ثم انظر كيف يكون الحال ، وكيف يذهب الحسن والحلاوة ، وكيف تعدم أريحيتك التى كانت ، وكيف تذهب النشوة التى كنت تجدها »[٢١] .

إن هذا التحليل تحقيق كاشف لمعنى القول بأن لغة القصائد أحكم بناء وأكثر تعقيداً من اللغة العادية ، أو اللغة النثرية ، أى أنها أدق تنظيماً بدرجة تتيح للشاعرأن يستغل الخصائص المتنوعة للغة ، كما فعل عبد القاهر منذ قليل ، وكما فعلنا مع أبيات « الموسيقية العمياء » . وهنا ينبغى أن نستدرك نقطة رهيفة ، وهى أن اهتمام عبد القاهر اتجه إلى البيت أو الأبيات القلائل ، ولم يحدث أن تناول قصيدة كاملة فى إطار منهجه الخاص . وليس من همنا الآن أن نبحث فى أسباب خذلانه ، وهل هو التأثر بالطريقة النقدية السائدة فى حينه ، وكانت ذات نظرة جزئية غالباً فى مجال التمثيل والاستشهاد ، وإذا تعرضت للشعر فإنما يكون ذلك من حيث هو شعر ، لا من حيث إنه بناء فى إطار قصيدة[٢٢] أو أن الشعر العربى نفسه لا يساعد على تطبيق هذا المنهج اللغوى على قصيدة بتمامها ، وأنه يصلح للبيت أو الأبيات (الوثبة) حيث تتجلى الوحدة المزاجية والمكونات اللغوية دون أن يمتد ذلك بالضرورة إلى القصيدة كلها . والحق خلاف ذلك ، لأن مدار بحث عبد القاهر هو عبقرية الشاعر فى تركيب لغته بحيث يعطى هذا التركيب أقوى مردود للدلالة والإيحاء والإيقاع ، بصرف النظر عن المعنى الكلى للقصيدة . وإذن فإن انصراف عبد القاهر عن تطبيق منهجه ينم على قصور حتى وإن اعتقد أن ما يجرى على البيت أو الأبيات يمكن تطبيقه على سائر القصيدة ، ذلك لأن أسرار التركيب

(٢١) دلائل الإعجاز ص ١٣١ .

(٢٢) وما أشار إليه ابن قتيبة فى الشعر والشعراء ، وابن طباطبا فى عيار الشعر لا ينقض هذا القول حيث انساق تصورهما لواقع النوع الغالب من القصائد ، وهو قصائد المديح ، ولم يطورا بحثهما عن أسس جمالية لبناء قصيدة .